

سيرة

القول بعد الأربع

شيخ الإسلام الإمام المجدد

الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله

١١١٥ - ١٢٠٦ هـ

بقلم

صالح بن فوزان بن عبد الله آل فوزان

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

مخرج ومحرر دة كرامتن بو

خالد بن فوزان آل فوزان



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله، وصلى الله وسلّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

وبعد،

لهذا شرح للقواعد الأربع التي ألفها شيخ الإسلام المجدد: محمد بن عبد الوهاب رحمته الله، لأنني لم أر من شرحها، فأحببت أن أشرحها حسب وسعي وطاقتي.
والله يعفو عمنّا تقصرت فيه.



100

100

100

100

100

100

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ - أسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يتولأك في الدنيا والآخرة، وأن يجعلك مباركاً أينما كنت، وأن يجعلك ممن إذا أعطى شكر، وإذا ابتلي صبر، وإذا أذنب استغفر، فإن هذه الثلاث عنوان السعادة.

١ - هذه «الفوائد الأربع» التي ألفها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله.

هي رسالة مستقلة، ولكنها تُطبع مع «ثلاثة الأصول» من أجل الحاجة إليها لتكون في متناول أيدي طلبة العلم.

و«الفوائد» جمع قاعدة، والقاعدة هي: الأصل الذي يتفرع عنه مسائل كثيرة - أو فروع كثيرة -.

ومضمون هذه الفوائد الأربع التي ذكرها الشيخ تكثفاً: معرفة التوحيد ومعرفة الشرك.

وما هي القاعدة في التوحيد؟ وما هي القاعدة في الشرك؟، لأن كثيراً من الناس يتخبطون في هذين الأمرين، يتخبطون في معنى التوحيد ما هو؟ ويتخبطون في معنى الشرك، كلٌّ يفسرها على حسب هواه.

ولكن الواجب: أننا نرجع في تفهيدنا إلى الكتاب والسنة، =

« ليكون هذا التعميد تفصيلاً صحيحاً سليماً مأخوفاً من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، لا سيما في هذين الأمرين العظيمين - التوحيد والشرك -.

والشيخ رحمه الله لم يذكر هذه القواعد من عنده أو من فكره كما يفعل ذلك كثير من المتخبطين، وإنما أخذ هذه القواعد من كتاب الله ومن سنة رسول الله ﷺ وسيرته.

فإذا عرفت هذه القواعد وفهمتها سهّل عليك بعد ذلك معرفة التوحيد الذي بعث الله به رسوله وأنزل به كتبه، ومعرفة الشرك الذي حذر الله منه وبين خطره وضرره في الدنيا والآخرة. وهذا أمر مهم جداً، وهو ألزم عليك من معرفة أحكام الصلاة والزكاة والعبادات وسائر الأمور الدينية، لأن هذا هو الأمر الأولي والأساس، لأن الصلاة والزكاة والحج وغيرها من العبادات لا تصح إذا لم تُبنى على أصل العقيدة الصحيحة، وهي التوحيد الخالص لله عز وجل.

وقد قدّم رحمه الله لهذه القواعد الأربع بمقدمة عظيمة فيها الدعاء لطلبة العلم، والتنبه على ما سيقوله، حيث قال: «أَسْأَلُ اللهَ العَظِيمَ رَبَّ العَرْشِ الكَرِيمِ أَنْ يَتَوَلَّكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَأَنْ يَجْعَلَكَ مَبَارَكاً أَبَدًا كُنْتَ، وَأَنْ يَجْعَلَكَ مَنَّاناً إِذَا أُعْطِيَ شُكْرًا، وَإِذَا ابْتُلِيَ صَبِيرًا، وَإِذَا أَذْنَبَ اسْتَغْفِرًا، فَإِنَّ هَذِهِ الثَّلَاثَ هِيَ عَنَوَانُ السَّعَادَةِ».

هذه مقدمة عظيمة، فيها دعاء من الشيخ رحمه الله لكل طالب علم يتعلّم عقيدته يريد بذلك الحق، ويريد بذلك تجنب الضلال والشرك، فإنه يخبرني بأن يتولاه الله في الدنيا والآخرة.

وإذا تولّاه الله في الدنيا والآخرة فإنه لا سبيل إلى المكافاة أن تصل إليه، لا في دينه ولا في دنياه، قال - تعالى -: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ لَئِيمٌ الْفُلُكُوتِ﴾ [البقرة: 257] ، فإذا تولّاك الله أخرجك من الظلمات - ظلمات الشرك والكفر والشكوك والإلحاد - إلى نور الإيمان والعلم النافع والعمل الصالح، ﴿وَلَقَدْ كَانَ لَكُم مَّا تَدْعُونَ إِلَٰهَ إِلَّا أَلَّهَ يَوْمَ تَمُوتُ وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا يَرْجُونَ قُدْرَتَهُ﴾ [محمد: 11] .

فإذا تولّاك الله برعايته وتوفيقه وهدايته في الدنيا وفي الآخرة؛ فإنك تسعد سعادة لا شقاء بعدها أبداً، في الدنيا بتولّاك بالهداية والتوفيق والسير على المنهج السليم، وفي الآخرة بتولّاك بأن يُدخلك جنته خالداً مخلّداً فيها لا خوف ولا مرضى ولا شقاء ولا كبر ولا مكافاة، وهذه ولاية الله لعبده المؤمن في الدنيا والآخرة. قال ابن القيم: إذا تولّاه أمرؤ دون الورى تولّاه العظيم الشأن.

قال: «وإن يجعلك مباركاً أينما كنت» إذا جعلك الله مباركاً أينما كنت فهذا هو غاية المطالب، يجعل الله البركة في عمرك، ويجعل البركة في رزقك، ويجعل البركة في علمك، ويجعل البركة في علمك، ويجعل البركة في ذريتك، أينما كنت تصاحبك البركة، أينما توجهت، وهذا خير عظيم، وفضل من الله ﷻ .

قال: «وإن يجعلك ممن إذا أعطي شكره» خلاف الذي إذا أعطي كفر النعمة وبطرها، فإن كثيراً من الناس إذا أعطوا النعمة كفروها وأنكروها، وصرفوها في غير طاعة الله عز وجل، فصارت سبباً لشقاوتهم، أما من يشكر فإن الله يزيده: ﴿وَلَوْ تَأَوَّذت لِرَبِّكُمْ لَئِنْ -

«سَكَّرْتُمْ لِأَيِّدِلَكُمْ» [إبراهيم: ١٧] والله - جلّ وعلا - يزيد الشاكرين من فضله وإحسانه. فإذا أردت المزيد من النعم فاشكر الله عزّ وجلّ، وإذا أردت زوال النعم فاكفرها.

قال: «وإذا ابتلي صبر»، الله جلّ وعلا - يبتلي العباد، يبتليهم بالمصائب، ويبتليهم بالمكازب، يبتليهم بالأعداء من الكفار والمنافقين؛ فيحتاجون إلى الصبر وعدم اليأس وعدم القنوط من رحمة الله، ويثبتون على دينهم، ولا يتزحزحون مع الفتن، أو يستسلمون للفتن، بل يثبتون على دينهم، ويصبرون على ما يقاسون من الأتعاب في سبيلها بخلاف الذي إذا ابتلي جزع وتسخط وقبض من رحمة الله - عزّ وجلّ فهذا يزداد ابتلاءً إلى ابتلاء ومصائب إلى مصائب، قال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَى وَمَنْ سَخَطَ فَعَلَيْهِ السَّخَطُ»^(١)، «وأعظم الناس ابتلاءً؛ الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل»^(٢)، «يبتلي الرسل، ويبتلي الصديقون، ويبتلي

(١) أخرجه الترمذي في الزهد، باب ما جاء في الصبر على البلاء، (٦٠١/١)، وابن ماجه في الفتن، باب الصبر على البلاء، (رقم ٤٠٣١) من حديث أنس بن مالك - ﷺ -.

وقال الترمذي: «هذا حديث غريب».

وأخرجه أحمد (٤٢٨/٥) من حديث محمود بن ليد - ﷺ -.

(٢) قطعة من حديث أخرجه الترمذي في الزهد، باب ما جاء في الصبر على البلاء، (٦٠١/١ - ٦٠٢)، وابن ماجه في الفتن، باب الصبر على البلاء، (رقم: ٤٠٢٣)، وأحمد (١٧٢/١، ١٧٣ - ١٧٤، ١٨٠، ١٨٥)، والدارقطني (٢/ ٣٢٠)، وابن حبان في صحيحه (١٣١/٧ - الإحسان)، والحاكم (٤١/١)، والبيهقي (٣٧٢/٣). وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح».

= الشهداء، وايثلي عباد الله المؤمنون، لكنهم صبروا، أما المنايق فقد قال الله فيه: - ﴿وَمِنَ الَّذِينَ مَنَ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ يعني: طرف ﴿يَقُولُ أَهْلَكُم خَيْرٌ لِّمَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ وَإِلَىٰ آلِهَتِهِ فَتُنَادُوهُم مِّنَ الْآدَانِ وَالْأَنْجِرَةِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَسَادُ الَّذِي﴾ (الحج: ١٦)، فالدنيا ليست دائماً نعيماً وثرفاً وملذات وشُروراً ونصراً، ليست دائماً هكذا، الله يبادلها بين العباد، الصحابة أفضل الأمة ماذا جرى عليهم من الابتلاء والامتحان؟ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاهُم مَّا مَلَآ سُرُورًا فَلَمَّا أَتَاهَا يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ يُدْرِكْهُم مَّرْءٌ مِّنَ آدَانِ يَتَّبِعْهُ فَسَقَطَ مِنْ يَدَيْهِ إِثْمُ الَّذِي هُوَ يَنَصِّرُ بِيَدِهِ وَاللَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَنَ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ (الزمر: ١٦٠)، فليؤظن العبد نفسه أنه إذا ايثلي فإن هذا ليس خاصاً به، فهذا سبق لأولياء الله، يؤظن نفسه ويصبر وينظر الفرج من الله - تعالى -، والعاقبة للمتقين.

قال: «وإذا أذنب استغفره أما الذي إذا أذنب لا يستغفر ويستزيد من الذنوب فهذا شقي - والعباد بالله -، لكن العبد المؤمن كلما صدر منه ذنب يبادر بالتوبة ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَجِيئَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ (الزمر: ١٣٥)، ﴿إِنَّمَا الذُّنُوبُ عَلَىٰ النَّاسِ يَتُوبُ إِلَيْكَ يَتُوبُونَ إِلَهُ﴾ (النساء: ١٧)، والجهالة ليس معناها عدم العلم، لأن الجاهل لا يؤخذ، لكن الجهالة هنا هي ضد الجلم. فكل من عصي الله فهو جاهل بمعنى ناقص الجلم وناقص العقلية وناقص الإنسانية، وقد يكون عالماً لكنه جاهل من ناحية أخرى من ناحية أنه ليس عنده جلم ولا ثبات في الأمور، ﴿ثُمَّ يَتُوبُ إِلَيْكَ يَتُوبُونَ إِلَهُ﴾ يعني: كلما أذنبوا استغفروا، ما هناك أحد معصوم من الذنوب، ولكن الحمد لله أن الله فتح باب التوبة، فعلى العبد إذا أذنب أن يبادر بالتوبة، لكن إذا لم

٢ - اعلم - أرشدك الله لطاعته :- أن الحنفية ملة إبراهيم
 أن تعبد الله مخلصاً له الدين، كما قال - تعالى :- ﴿وَمَا خَلَقْتُ
 الْإِنْسَ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِي﴾ [الذاريات: ٥٦].

= ييب ولم يستغفر فهذه علامة الشفاء. وقد يقط من رحمة الله وبأنه
 الشيطان ويقول له: ليس لك توبة.

هذه الأمور الثلاث: إذا أعطي شكر، وإذا ابتلي صبر، وإذا
 أذنب استغفر هي عنوان السعادة، فمن وفق لها نال السعادة، ومن
 حرم منها - أو من بعضها - فإنه شقي.

٢ - «اعلم أرشدك الله» هذا دعاء من الشيخ - تفتك، وهكذا
 ينبغي للمعلم أن يدعو للمتعلم.

وطاعة الله معناها: امتثال أوامره واجتناب نواهي.

«أن الحنفية ملة إبراهيم» الله - جلّ وعلا - أمر نبينا باتباع ملة
 إبراهيم، قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَوْعَيْنَا إِلَيْكَ لَوَأْتِيْعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا
 كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٣].

والحنفية: ملة الحنيف وهو إبراهيم - عليه الصلاة والسلام -،
 والحنيف هو: المقبل على الله المعرض عما سواه، هذا هو الحنيف:
 المقبل على الله بقلبه وأعماله ونياته ومقاصده كلها لله، المعرض عما
 سواه، والله أمرنا باتباع ملة إبراهيم: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ
 حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الحج: ٧٨].

وملة إبراهيم: «أن تعبد الله مخلصاً له الدين» هذه الحنفية،
 ما قال: (أن تعبد الله) فقط، بل قال: «مخلصاً له الدين» يعني:
 ونجنب الشرك، لأن العبادة إذا خالطها الشرك بطلت، فلا تكون =

= عبادة إلا إذا كانت سالمة من الشرك الأكبر والأصغر.

كما قال - تعالى -: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ

حَقَّاقًا﴾ (البينة: ٥) جمع: حنيف، وهو: المخلص لله عز وجل.

وهذه العبادة أمر الله بها جميع الخلق كما قال - تعالى -: ﴿وَمَا

خَلَقْتُ الْإِنسَ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝﴾ (الذاريات: ٥٦)، ومعنى يعبدون:

يُفَرِّدُونِي بِالْعِبَادَةِ، فالحكمة من خلق الخلق: أنهم يعبدون الله عز وجل

مخلصين له الدين، منهم من امتثل ومنهم من لم يمتثل، لكن الحكمة

من خلقهم هي هذه، فالذي يعبد غير الله مخالف للحكمة من خلق

الخلق، ومخالف للأمر والشرع.

وإبراهيم هو: أبو الأنبياء الذين جاءوا من بعده، فكلهم من

ذريته، ولهذا قال - جل وعلا -: ﴿وَرَبَّكَ فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾

(التكوير: ٢٦٦)، فكلهم من (بني إسرائيل) - حفيد إبراهيم عليه

السلام - إلا محمداً ﷺ فإنه من ذرية إسماعيل، فكل الأنبياء من بعد

إبراهيم من أبناء إبراهيم - عليه الصلاة والسلام -، تكريماً له.

وجعله الله إماماً للناس - يعني: قدوة -: ﴿قَالَ إِنِّي بِكَ بَلَغْتُ

إِلَهًا﴾ (البقرة: ١٢٤) يعني: قدوة، ﴿إِنِّي بِرَبِّهِمْ كَأَنَّ أَتَى﴾ (النمل: ١٢٠)

- يعني: إماماً يقتدى به. وبذلك أمر الله جميع الخلق كما قال

- تعالى -: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْإِنسَ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝﴾ (الذاريات: ٥٦)،

فإبراهيم دعا الناس إلى عبادة الله عز وجل كغيره من

النبیین، كل الأنبياء دعوا الناس إلى عبادة الله وترك عبادة ما

سواه، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رُسُلًا أَنِ

اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الصُّغُورَ﴾ (النمل: ٢٦).

٣ - فإذا عرفت أن الله خلقك لعبادته؛ فاعلم أن العبادة لا تسنى عبادة إلا مع التوحيد، كما أن الصلاة لا تسنى صلاة إلا مع الطهارة، فإذا دخل الشرك في العبادة فسدت كالحدث إذا دخل في الطهارة.

وأما الشرائع التي هي الأوامر والنواهي والحلال والحرام فهذه تختلف باختلاف الأمم حسب الحاجات، يشرع الله شريعة ثم ينسخها بشريعة أخرى إلى أن جاءت شريعة الإسلام فنسخت جميع الشرائع وبقيت هي إلى أن تقوم الساعة، أما أصل دين الأنبياء - وهو التوحيد - فهو لم يُنسخ ولن يُنسخ، دينهم واحد وهو دين الإسلام بمعنى: الإخلاص لله بالتوحيد. أما الشرائع فقد تختلف، وتُسخ، لكن التوحيد والعقيدة من آدم إلى آخر الأنبياء، كلهم يهدون إلى التوحيد وإلى عبادة الله، وعبادة الله: طاعته في كل وقت بما أمر به من الشرائع، فإذا نسخت صار العمل بالناسخ هو العبادة، والعمل بالنسوخ ليس عبادة لله.

٣ - «فإذا عرفت أن الله خلقك لعبادته» يعني: إذا عرفت من هذه الآية ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُنِي﴾ (الذاريات: ٥٦) وأنت من الإنس، داخل في هذه الآية، وعرفت أن الله ما خلقك عبداً، أو خلقك لتأكل وتشرب فقط، تعيش في هذه الدنيا وتُفْرَخ وتُفْرَخ، لم يخلقك لهذا، خلقك الله لعبادته، وإنما سخر لك هذه الموجودات من أجل أن تستعين بها على عبادته لأنك لا تستطيع أن تعيش إلا بهذه الأشياء، ولا تتوصل إلى عبادة الله إلا بهذه الأشياء، سخرها الله لك لأجل أن تعيش، ليس من أجل أن تفرح بها وتفرح وتفرح وتفسق وتفجّر تأكل وتشرب ما اشتبهت، هذا شأن البهائم، أما آدميون فالله - جلّ وعلا - خلقهم لغاية عظيمة وحكمة عظيمة وهي =

العبادة قال - تعالى - : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِعِبَادَةٍ ۖ مَا لَكُمْ لِيُغْنِيَ عَنْكُمْ رَبُّكُمْ ۚ﴾ (الذاريات: ٥٦، ٥٧)، الله ما خلقك لتكتسب له، أن تحترف وتجمع له مالا، كما يفعل بنو آدم بعضهم لبعض يجعلون غملاً يجمعون لهم المكاسب، لا، الله غني عن هذا، والله غني عن العالمين، ولهذا قال : ﴿مَا لَكُمْ لِيُغْنِيَ عَنْكُمْ رَبُّكُمْ ۚ﴾ (الذاريات: ٥٧) الله - جلّ وعلا - يُطعم ولا يُطعم، غني عن الطعام، وغني - جلّ وعلا - بذاته، وليس هو في حاجة إلى عبادته، لو كفرت ما نقصت ملك الله، ولكن أنت الذي بحاجة إليه، أنت الذي بحاجة إلى العبادة، فمن رحمته: أنه أمرك بعبادته من أجل مصلحتك، لأنك إذا عبدته فإنه ﷻ يُكْرِمُكَ بالجزاء والثواب، فالعبادة سبب لإكرام الله لك في الدنيا والآخرة، فمن الذي يستفيد من العبادة؟ المستفيد من العبادة هو العابد نفسه، أما الله - جلّ وعلا - فإنه غني عن خلقه.

قال : فاعلم: أن العبادة لا تنسى عبادة إلا مع التوحيد، كما أن الصلاة لا تنسى صلاة إلا مع الطهارة.

إذا عرفت أن الله خلقك لعبادته فإن العبادة لا تكون صحيحة برضاها الله ﷻ إلا إذا توفّر فيها شرطان، إذا احتلّ شرط من الشرطين بطلت:

الشرط الأول: أن تكون خالصة لوجه الله، ليس فيها شرك، فإن خالطها شرك بطلت، مثل الطهارة إذا خالطها حدث بطلت، كذلك إذا عبدت الله ثم أشركت به بطلت عبادتك. هذا الشرط الأول.

الشرط الثاني: المتابعة للرسول ﷺ، فأي عبادة لم يأت بها الرسول فإنها باطلة ومرفوضة، لأنها بدعة وخرافة، ولهذا يقول ﷺ :

«مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ زَوَّاجٌ»^(١)، وفي رواية: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ زَوَّاجٌ»^(٢)، فلا بدَّ أَنْ تكون العبادة موافقة لما جاء به الرسول ﷺ، لا باستحسانات الناس ونياتهم ومقاصدهم ما دام أنها لم يدلَّ عليها دليل من الشرع فهي بدعة ولا تنفع صاحبها بل تضره لأنها معصية، وإنَّ زعم أنه تقرب بها إلى الله - عز وجل -.

فلا بد في العبادة من هذين الشرطين: الإخلاص، والمتابعة للرسول ﷺ حتى تكون عبادة صحيحة نافعة لصاحبها، فإن دخلها شرك بطلت، وإذا صارت مبتدعة ليس عليها دليل فهي باطلة أيضاً، بدون هذين الشرطين لا فائدة من العبادة، لأنها على غير ما شرع الله ﷻ، والله لا يقبل إلا ما شرع في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ.

فلا هناك أحد من الخلق يجب أتباعه إلا الرسول ﷺ، أما ما عدا الرسول فإنه يتبع ويُطاع إذا أتبع الرسول، أما إذا خالف الرسول فلا طاعة، يقول الله - تعالى -: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا رَسُولَ اللَّهِ وَارْزُقُوا الْأَمْرَ وَيَتَرَكُوا﴾ (النساء: ٥٩)، وأولوا الأمر هم: الأمراء والعلماء، فإذا أطاعوا الله وجبت طاعتهم وأتباعهم، أما إذا خالفوا أمر الله فإنها لا تجوز طاعتهم ولا أتباعهم فيما خالفوا فيه، لأنه ليس هناك أحد يُطاع استقلالاً من الخلق إلا رسول الله ﷺ، وما عداه فإنه يُطاع ويتبع إذا أطاع الرسول ﷺ وأتبع الرسول، هذه هي العبادة الصحيحة.

(١) أخرجه مسلم (رقم: ١٧١٨) في الألفية، باب نفى الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور، من حديث عائشة - رضى الله عنها -.

(٢) أخرجه البخاري (رقم: ٢٦٩٧) في الصلح، باب إذا اصطلموا على صلح جور فالصلح مردود، ومسلم (رقم: ١٧١٨)، من حديث عائشة - رضى الله عنها -.

٤ - فإذا عرفت أن الشرك إذا غلط العبادة أفسدها وأحبط العمل وصار صاحبه من الخالدين في النار عرفت أن أهم ما عليك معرفة ذلك، لعل الله أن يخلصك من هذه الشبكة، وهي الشرك بالله الذي قال الله - تعالى - فيه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، وَيَقْبِضُ مَا شَاءَ مِنْ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ (النساء: ١١٦)، وذلك بمعرفة أربع قواعد ذكرها الله - تعالى - في كتابه:

٤ - فإذا عرفت أن الشرك إذا غلط العبادة أفسدها وأحبط العمل، وصار صاحبه من الخالدين في النار... أي: ما دام أنك عرفت التوحيد وهو: إفراد الله بالعبادة، يجب أن تعرف ما هو الشرك، لأن الذي لا يعرف الشيء يقع فيه، فلا بد أنك تعرف أنواع الشرك من أجل أن تتجنبها، لأن الله حذر من الشرك وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، وَيَقْبِضُ مَا شَاءَ مِنْ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ (النساء: ٤٨)، فهذا الشرك الذي هذا خطر، وهو أنه يحرم من الجنة: ﴿إِنَّ مَنْ يُشْرِكْ بِأَقْوَمَ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾ (المائدة: ٧٢)، ويحرم من المغفرة ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ (النساء: ٤٨).

إذاً: هذا خطر عظيم، يجب عليك أن تعرفه قبل أي خطر، لأن الشرك ضلّت فيه أفهام وغفول. فالواجب أن تعرف ما هو الشرك من الكتاب والسنة، الله ما حذر من شيء إلا وبينته، وما أمر بشيء إلا وبينته للناس، فهو لم يحرم الشرك وتركه مجتلاً، بل بينه في القرآن العظيم وبينه الرسول ﷺ في السنة، بياناً شافياً، فإذا أردنا أن نعرف ما هو الشرك نرجع إلى الكتاب والسنة حتى نعرف الشرك، ولا نرجع إلى قول فلان، وهذا سيأتي.

[illegible]

• «القاعدة الأولى»: أن تعرف أن الكتاب الذي قائلهم رسول الله ﷺ كانوا مقرين بتوحيد الربوبية، ومع ذلك إقرارهم بتوحيد الربوبية لم يدخلهم في الإسلام، ولم يحرم دماءهم ولا أموالهم.

فدل على أن التوحيد ليس هو الإقرار بالربوبية فقط، وأن الشرك ليس هو الشرك في الربوبية فقط، بل ليس هناك أحد أشرك في الربوبية إلا شواذ من الخلق، وألا فكل الأمم تُقرّ بتوحيد الربوبية، وتوحيد الربوبية هو: الإقرار بأن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت المدبر، أو بعبارة أخصر: توحيد الربوبية هو: إفراد الله تعالى - بأفعاله ﷻ.

فلا أحد من الخلق ادعى أن هناك أحداً يخلق مع الله - تعالى - ،
أو يوزن مع الله ، أو يحيي ، أو يميت ، بل المشركون مقررون بأن الله
هو الخالق الرازق المحيي المميت العليم : ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ
الْعَشْرِينَ وَالْأَرْبَعِينَ يَوْمَئِذٍ فَقَالُوا أَلَمْ يَخْلُقْهُمْ اللَّهُ ؟﴾ [القصص: ٢٥] ، ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ
الْأُولَىٰ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ؟﴾ [المؤمنون: ٨٦] ، اقرأوا
الآيات من آخر سورة المؤمنون تجدون أن المشركين كانوا مقررين
بنوحيد الربوبية ، وكذلك في سورة يونس : ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنْ أَلْفِ
وَالْأَرْبَعِينَ نَسَمَةً وَالْأَصْنَمَ ؟﴾ [يونس: ١٠١] ، ﴿قُلْ مَنْ يَخْرُجُ مِنَ الْبَيْتِ

٦ - القاعدة الثابتة: أنهم يقولون: ما دعوناهم ونوجهنا إليهم إلا لطلب القرية والشفاعة، فدليل القرية قوله - تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ ذُرِّيَةِ أُولَئِكَ مَا نُنَادِيهِمْ إِلَّا إِفْرِيقًا إِلَىٰ آمَنُوا ۚ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِمَ يُدْعَىٰ إِلَهُ اللَّهِ بِإِسْمِ اللَّهِ بَنَدٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا ۚ قُلْ بِإِذْنِ اللَّهِ لَا يَهْدَىٰ اللَّهُ فِتْنَةً لِّلْكَافِرِينَ ۚ﴾ (الزمر: ٢٨).

الْحَيُّ وَمَنْ عِنْدَ الْأَمْرِ فَسُبْحَانَ اللَّهِ (يونس: ٢١)، فهم مقررون بهذا.

فليس التوحيد هو الإقرار بتوحيد الربوبية كما يقول ذلك علماء الكلام والنظار في عقائدهم، فإنهم يقولون بأن التوحيد هو الإقرار بأن الله هو المخلق الرازق المحيي المميت، فيقولون: (واحد في ذاته لا قسم له، واحد في صفاته لا شبه له، واحد في أفعاله لا شريك له) وهذا هو توحيد الربوبية، ارجعوا إلى أي كتاب من كتب علماء الكلام تجدون لا يخرجون عن توحيد الربوبية، وهذا ليس هو التوحيد الذي بعث الله به الرسل، والإقرار بهذا وحده لا ينفع صاحبه، لأن هذا أقرب به المشركون وصناديد الكفرة، ولم يخرجهم من الكفر، ولم يدخلهم في الإسلام، فهذا غلط عظيم، فمن اعتقد هذا الاعتقاد ما زاد على اعتقاد أبي جهل وأبي لهب، قالذي عليه الآن بعض المثقفين هو تقرير توحيد الربوبية فقط، ولا ينتظرون إلى توحيد الألوهية، وهذا غلط عظيم في معنى التوحيد.

وأما الشرك فيقولون: (هو أن تعتقد أن أحداً يخلق مع الله أو يرزق مع الله)، نقول: هذا ما قاله أبو جهل وأبو لهب، ما قالوا: إن أحداً يخلق مع الله، ويرزق مع الله، بل هم مقرّون بأن الله هو الخالق الرازق المحيي الميت.

٦ - القاعدة الثانية: أن المشركين الذين سقاهم الله مشركين =

« وحكم عليهم بالخلود في النار، لم يشركوا في الربوبية وإنما أشركوا في الألوهية، فهم لا يقولون إن آلهتهم تخلق وترزق مع الله، وأنهم ينفعون أو يضرّون أو يدبرون مع الله، وإنما اتخذوهم شفعاء، كما قال الله تعالى عنهم: ﴿وَقَبُولُكَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ وَلَا يَضُرُّكُمْ وَمِمَّا يَقُولُونَ هَؤُلَاءِ ضَلُّوا عَنْ اللَّهِ﴾ (يسر: ١٨)، ﴿مَا لَا يَنْفَعُكُمْ وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ هم معترفون بهذا إنهم لا ينفعون ولا يضرّون، وإنما اتخذوهم شفعاء، يعني: وسطاء عند الله في قضاء حوائجهم، يلجأون لهم، وينذرون لهم، لا لأنهم يخلقون أو يرزقون أو ينفعون أو يضرّون في اعتقادهم، وإنما لأنهم يتوسطون لهم عند الله، ويشفعون عند الله، هذه عقيدة المشركين.

وأنت لما تناقش الآن قيوماً من القيومين بقول هذه المقالة سواء بسواء، يقول: أنا أدري أن هذا الولي أو هذا الرجل الصالح لا يضر ولا ينفع، ولكن هو رجل صالح وأريد منه الشفاعة لي عند الله.

والشفاعة فيها حق وفيها باطل، الشفاعة، التي هي حق وصحيحة هي ما توفّر فيها شرطان:

الشرط الأول: أن تكون بإذن الله.

والشرط الثاني: أن يكون المشفوع فيه من أهل التوحيد، أي: من عصاة الموحدين.

إن احتل شرط من الشرطين فالشفاعة باطلة، قال - تعالى -: ﴿سَيَرْجِيهِ رَبِّي أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْعِلْمِ يَجْعَلُونَ آلَ اللَّهِ آلَهُمْ﴾ (البقرة: ١٢٥)، ﴿وَمَا يَنْفَعُكَ إِلَّا»

٧ - ودليل الشفاعة قوله - تعالى - : ﴿وَيَسْتَدْرِكُ بَيْنَ يَدَيْهِ أَلْفُ سَائِرٍ لَا يَشْفَعُ لَهُمْ وَلَا يُنْفَعُ لَهُمْ رَفْعُهُمْ هَؤُلَاءِ شَفَعُوا بِعِندِ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨] ، والشفاعة شفاعتان: شفاعة منفية وشفاعة مثبتة: فالشفاعة المنفية ما كانت تطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، والدليل: قوله - تعالى - : ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ كَفَرُوا يَتَّقُوا أَنْ يَكُونُوا مِنْ زُلْفَتِكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ بَأْسَ يَوْمٍ لَا يَنْجِي فِيهِ وَلَا حِصَّةً وَلَا شَفْعَةً وَالْكَافِرُونَ هُمْ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤] .

والشفاعة المثبتة هي: التي تطلب من الله، والشافع منكرم بالشفاعة، والمشفوع له: من رضي الله وقوله وعمله بعد الإذن كما قال - تعالى - : ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥] .

- [يُنَادُونَ] (الأنبياء: ٢٨) ، وهم خصماء الموحدين، أما الكفار والمشركون فما تنفعهم شفاعة الشافعين ﴿يَا الظَّالِمِينَ مِنْ حَيْثُ وَلَا يَنْفَعُ يَطَاعٌ﴾ [غافر: ١٨] فهؤلاء سمعوا بالشفاعة ولا عرفوا معناها، وراحوا يطلبونها من هؤلاء بدون إذن الله - عز وجل - ، بل طلبوها لمن هو مشرك بالله لا تنفعه شفاعة الشافعين، فهؤلاء يجهلون معنى الشفاعة الحقّة والشفاعة الباطلة .

٧ - الشفاعة لها شروط ولها قيود، ليست مطلقة .

فالشفاعة شفاعتان: شفاعة نفاها الله - جلّ وعلا - ، وهي الشفاعة بغير إذنه ﷻ ، فلا يشفع أحد عند الله، إلا بإذنه، وأفضل الخلق وخاتم النبيين محمد ﷺ إذا أراد أن يشفع لأهل الموقف يوم القيامة بخرّ ساجداً بين يدي ربه ويدعوه ويحمده ويثني عليه، ولا يزال ساجداً حتى يُقال له: «ارفع رأسك، وقل تَسْمَعُ، واشفع =

٨ - والقاعدة الثالثة: أن النبي ﷺ ظهر على أناس متفرقين في عباداتهم منهم من يعبد الملائكة، ومنهم من يعبد الأنبياء والصالحين، ومنهم من يعبد الأحجار والأشجار، ومنهم من يعبد الشمس والقمر. وقاتلهم رسول الله ﷺ ولم يفرق بينهم.

«تَشْفَعُ»^(١)، فلا يشفع إلا بعد الإذن.

والشفاعة المثبتة هي التي تكون لأهل التوحيد، فالشرك لا تنفعه شفاعة، والذي يقدم القرابين للقبور والنذور للقبور هذا مشرك لا تنفعه الشفاعة.

وخلاصة القول: أن الشفاعة المنفية هي التي تطلب بغير إذن الله، أو تطلب لمشرك.

والشفاعة المثبتة هي التي تكون بعد إذن الله، ولأهل التوحيد.

٨ - القاعدة الثالثة: أن النبي ﷺ بُعث إلى أناس من المشركين، منهم من يعبد الملائكة، ومنهم من يعبد الشمس والقمر ومنهم من يعبد الأصنام والأحجار والأشجار، ومنهم من يعبد الأولياء والصالحين.

وهذا من فبح الشرك أن أصحابه لا يجتمعون على شيء واحد، بخلاف الموحدين فإن معبودهم واحد ﷻ: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُشْفَعُونَ عِندَهُ﴾ إِنَّهُ الْوَهْدُ الْقَهَّارُ قَائِمُونَ بِنُورِهِ، لَا أَسْكَاءَ سَبِّحُونَهُ (يسوسف: ٣٩)، فمن سلبات الشرك وأباطيله: أن أهله متفرقون في عباداتهم لا =

(١) قطعة من حديث طويل أخرجه البخاري (رقم: ٢٥١٠)، في التوحيد، باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم، ومسلم (رقم: ١٩٣) في الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، من حديث أس بن مالك - رضي الله عنه.

= يجمعهم ضابط لأنهم لا يسرون على أصل، وإنما يسرون على أهوائهم ودعائيات المصلّين، فنكثرت تفرقاتهم: ﴿خَيْرَ اللَّهِ مَثَلًا لِّمَثَلٍ فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِمُونَ وَوَعَدًا لِّمَثَلٍ إِنْ عَصَى اللَّهُ الْهَدْيَ لَمُ يُعَذِّبْهُ بِمَا كَانَ يُعَذِّبُ الْكَافِرِينَ﴾ (الزمر: ٢٩)، فالذي يعبد الله وحده مثل المملوك الذي يملكه شخص واحد يرتاح معه، يعرف مقاصده ويعرف مطالبه ويرتاح معه، لكن المشرك مثل الذي له عدة مالكين، ما يدري من يرضي منهم، كل واحد له هوى، وكل واحد له طلب، وكل واحد له رغبة، كل واحد يريد أن يأتي عنده، ولهذا قال سبحانه: ﴿خَيْرَ اللَّهِ مَثَلًا لِّمَثَلٍ فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِمُونَ﴾ يعني: يملكه عدة أشخاص، لا يدري من يرضي منهم، ﴿وَوَعَدًا لِّمَثَلٍ إِنْ عَصَى اللَّهُ الْهَدْيَ لَمُ يُعَذِّبْهُ بِمَا كَانَ يُعَذِّبُ الْكَافِرِينَ﴾ هذا مثل ضرب الله للمشرك والموخذ.

فالمشركون متفرقون في عباداتهم، والتي ﴿قَاتِلْهُمْ وَلَمْ يَفْرُقْ بَيْنَهُمْ، قَاتِلِ الْوَثْنِينَ، وَقَاتِلِ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى، قَاتِلِ الْمَجُوسَ، قَاتِلِ جَمِيعَ الْمُشْرِكِينَ، وَقَاتِلِ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ الْمَلَائِكَةَ، وَالَّذِينَ يَعْبُدُونَ الْأَوْلِيَاءَ الصَّالِحِينَ، لَمْ يَفْرُقْ بَيْنَهُمْ.

فهذا فيه رد على الذي يقولون: الذي يعبد الصنم ليس مثل الذي يعبد رجلاً صالحاً ومثلماً من الملائكة، لأن هؤلاء يعبدون أحجاراً وأشجاراً، ويعبدون جمادات، أما الذي يعبد رجلاً صالحاً وولياً من أولياء الله ليس مثل الذي يعبد الأصنام.

ويريدون بذلك أن الذي يعبد القبور الآن يختلف حكمه عن الذي يعبد الأصنام، فلا يكفر، ولا يعتبر عمله هذا شركاً، ولا يجوز قتاله.

٩ - والدليل قوله - تعالى - : ﴿وَتَقُولُونَ عَلَىٰ لَا تَكُونَ وَتَنَّىٰ وَيَكُونُ الْيَوْمَ بِقَوْمٍ﴾ (البقرة: ١٩٣).

١٠ - ودليل الشمس والقمر قوله - تعالى - : ﴿وَمِنْ كَذِبِهِمْ أَنَّهُمْ قَالُوا وَالْقَمَرُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا سَجْدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ﴾ (فصلت: ٣٧).

فنقول: الرسول لم يفرق بينهم، بل اعتبرهم مشركين كلهم، واستحل دعاءهم وأموالهم، ولم يفرق بينهم، والذين يعبدون المسيح، والمسيح رسول الله، ومع هذا قاتلهم. واليهود يعبدون عُزيراً، هو من أنبيائهم، أو من صالحهم، قاتلهم رسول الله ﷺ، لم يفرق بينهم، فالشرك لا يفرق فيه بين مَنْ يعبد رجلاً صالحاً أو يعبد صنماً أو حجراً أو شجراً، لأن الشرك هو: عبادة غير الله كأنساً مَنْ كَانَ، ولهذا يقول: ﴿وَأَقْبِلُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ، سُبْحَانَ﴾ (النساء: ٣٦)، ﴿ثُمَّ﴾ نكسة في سياق النهي نعم كل شيء، نعم كل مَنْ أشرك مع الله - عز وجل - من الملائكة والرسل والصالحين والأولياء، والأحجار والأشجار.

٩ - قوله: «والدليل قوله - تعالى - : ﴿وَتَقُولُونَ عَلَىٰ لَا تَكُونَ وَتَنَّىٰ وَيَكُونُ الْيَوْمَ بِقَوْمٍ﴾ أي: الدليل على قتال المشركين من غير تفرق بينهم حسب معبوداتهم؛ قوله تعالى: ﴿وَتَقُولُونَ﴾، وهذا عام لكل المشركين، لم يستثن أحداً، ثم قال: ﴿عَلَىٰ لَا تَكُونَ وَتَنَّىٰ﴾ والفتنة: الشرك، أي: لا يوجد شرك، وهذا عام؛ أي شرك، سواء الشرك في الأولياء والصالحين، أو بالأحجار، أو بالأشجار، أو بالشمس أو بالقمر.

﴿وَيَكُونُ الْيَوْمَ بِقَوْمٍ سَخِمَ﴾: تكون العبادة كلها لله، ليس فيها شريك لأحد كأنساً مَنْ كَانَ، فلا فرق بين الشرك بالأولياء والصالحين أو بالأحجار أو بالأشجار أو بالباطنيين، أو غيرهم.

١٠ - دل على أن هناك مَنْ يسجد للشمس والقمر، ولهذا نهى =

١١ - ودليل الملائكة قوله - تعالى - : ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا لِلْمَلَائِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ مَزَاجًا﴾ (آل عمران: ٨٠).

١٢ - ودليل الأنبياء قوله - تعالى - : ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْصِي أَمْرِي مَرْثَمَ مَاتَ قَلَّتْ لِلنَّاسِ أَفْهَادِي وَأَمِنَ الْإِنْتَهَى مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَنَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا يَحْسِبُ لِي بِحَقِّي إِنْ كُنْتُ قَلْتُمْ فَقَدْ عَلِمْتُمْ تَقْلُمُ مَا فِي تَلْسِي وَلَا أَهْلُ مَا فِي تَلْسِيكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ ﴿١٧١﴾﴾ (المائدة: ١١٦).

- الرسول ﷺ عن الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها^(١) سدا للفرقة، لأن هناك من يسجد للشمس عند طلوعها ويسجد لها عند غروبها، فنهينا أن نصلي في هذين الوقتين وإن كانت الصلاة لله، لكن لما كان في الصلاة في هذا الوقت مشابة لفعل المشركين مُنِعَ من ذلك سدا للفرقة التي تُفضي إلى الشرك، والرسول ﷺ جاء بالنهي عن الشرك وسد فرائعه المفضية إليه^(٢).

١١ - قوله: «ودليل الملائكة... إلخ» دل على أن هناك من عبد الملائكة والنبيين، وأن ذلك شرك.
وعباد القبور اليوم يقولون: الذي يعبد الملائكة والنبيين والصالحين ليس بكافر.

١٢ - وقوله: «ودليل الأنبياء... إلخ» هذا فيه دليل على أن عبادة الأنبياء شرك مثل عبادة الأصنام.

(١) كما في حديث عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا يَنْتَحَرَى أَحَدُكُمْ، فَيُصَلِّيَ عِنْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَلَا عِنْدَ غُرُوبِهَا».

أخرجه البخاري (رقم: ٥٨٥) في العواقيت، باب لا ينتحرى الصلاة قبل غروب الشمس، ومسلم (رقم: ٨٢٨) في المساجد، باب الأوقات التي نهى عن الصلاة فيها.

(٢) انظر: فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد: (٢/ ٨٣٥ - ٨٣٩).

١٣ - ودليل الصالحين قوله - تعالى - : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِكْرَامَهُمُ الْوَسِيلَةَ إِلَيْهِمْ أَوْفَرًا وَهُمْ يَرْجُونَ رَحْمَةً وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ (الإسراء: ٥٧).

فيه ردٌ على من فَرَّقَ في ذلك من عبادة القبور.

فهذا فيه ردٌ على هؤلاء الذين يقولون: إن الشرك عبادة الأصنام، ولا يسوّى عندهم بين من عبد الأصنام وبين من عبد ولياً أو رجلاً صالحاً، وينكرون التسوية بين هؤلاء، ويَزعمون أنَّ الشرك مقصورٌ على عبادة الأصنام فقط، وهذا من المغالطة الواضحة من الحنين:

الناحية الأولى: أنَّ الله - جلَّ وعلا - في القرآن أنكر على الجميع، وأمر بقتال الجميع.

الناحية الثانية: أنَّ النبي ﷺ لم يفرق بين عابِدِ صنمٍ وعابِدِ ملكٍ أو رجلٍ صالح.

١٣ - «ودليل الصالحين» يعني: ودليل أنَّ هناك مَنْ عبد الصالحين من البشر: قوله - تعالى - : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِكْرَامَهُمُ الْوَسِيلَةَ إِلَيْهِمْ أَوْفَرًا﴾ قيل: نزلت هذه الآية فيمن يعبد المسيح وأمه وعزيراً فأخبر - سبحانه - أن المسيح وأمه مريم، وعزيراً كلهم عبادُ الله، يتقربون إلى الله ويرجون رحمته ويخافون عذابه، فهم عبادٌ محتاجون إلى الله فيستقرون إليه بدعوته ويتوسلون إليه بالطاعة ﴿يَبْتَغُونَ إِكْرَامَهُمُ الْوَسِيلَةَ﴾ (المائدة: ٢٥)، يعني: القُرب منه - سبحانه - بطاعته وعبادته، فدلَّ على أنهم لا يصلحون للعبادة لأنهم بشرٌ محتاجون فقراء، يدعون الله، ويرجون رحمته، ويخافون عذابه، ومن كان كذلك لا يصلح أن يُعبد مع الله - عز وجل -.

والقول الثاني: أنها نزلت في أناس من المشركين كانوا يعبدون نَفَرًا من الجن فأسلم الجن ولم يعلم هؤلاء بإسلامهم، وصاروا يتقربون إلى الله بالطاعة والطَّاعة ويرجون رحمته ويخافون عذابه، فهم عبادة محتاجون فقراء لا يصلحون للعبادة.

وأيًا كان المراد بالآية الكريمة فإنها تدل على أنه لا يجوز عبادة الصالحين، سواء كانوا من الأنبياء والصديقين، أو من الأولياء والصالحين، فلا تجوز عبادتهم، لأنَّ الكل عبادة لله فقراء إليه، فكيف يُعبدون مع الله - جلَّ وعلا -.

والوسيلة معناها: الطاعة والقرب، فهي في اللغة: الشيء الذي يوصل إلى المقصود، فالذي يوصل إلى رضى الله وجنته هو الوسيلة إلى الله، هذه هي الوسيلة المشروعة في قوله تعالى: ﴿وَابْتَغُوا إِلَهُ الْوَسِيلَةَ﴾.

أما المحرّفون المحرّفون فيقولون: الوسيلة: أن تجعل بينك وبين الله واسطة من الأولياء والصالحين والأموات، تجعلهم واسطة بينك وبين الله ليفرّجوك إلى الله ﴿مَا تَبَدُّعُ إِلَّا يَقْرَبُونَ إِلَى اللَّهِ﴾ [الزمر: ١٣]، فمعنى الوسيلة عند هؤلاء المحرّفين: أن تجعل بينك وبين الله واسطة تُعرّف الله بك وتشفّل له حاجاتك وتُخبره عنك، كأن الله - جلَّ وعلا - لا يعلم، أو كأن الله - جلَّ وعلا - بخيلا لا يعطي إلا بعد ما يلج عليه بالوسائط - تعالى الله عما يقولون - ولهذا يشهدون على الناس ويقولون: الله - جلَّ وعلا - يقول: ﴿أَلَيْسَ الْبَشَرُ بِشَيْءٍ يَتَفَوَّكُ إِنْ رَزَقَهُ الْوَسِيلَةُ﴾ فدل على أن اتخاذ الوسائط من الخلق إلى الله أمرٌ مشروع لأن الله أنشأ على

أعله، وفي الآية الأخرى: ﴿بِتِلْكَ الْوَيْلِكَ مَاتُوا تَلْعُوا اللَّهَ وَتَبْتُوا
 يَأْتِي الْوَيْلَةَ وَجَهْدُوا فِي سَبِيلِهِ﴾ (المائدة: ٣٥)، قالوا: إن الله
 أمرنا أن نتخذ الوسيلة إليه، والوسيلة معناها: الوساطة، هكذا
 يحرفون الكلم عن مواضعه، فالوسيلة المشروعة في القرآن وفي
 السنة هي: الطاعة التي تقرب إلى الله، والتوسل إليه بأسمائه
 وصفاته. هذه هي الوسيلة المشروعة، أما التوسل بالمخلوقين
 إلى الله فهو وسيلة ممنوعة، ووسيلة شركية، وهي التي اتخذها
 المشركون من قبل: ﴿وَتَقُولُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ أَلُوهُ مَا لَا يَفْعَلُهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ
 وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُوا عِنْدَ اللَّهِ﴾ (يونس: ١٨)، ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ
 دُونِهِ آلِهَةً مَا يَنْفَعُهُمْ إِلَّا يَنْفَرُونَ إِلَى اللَّهِ وَكَفَى﴾ (الزمر: ٢)، هذا هو
 شرك الأولين والآخرين سواء بسواء، وإن سموه وسيلة فهو الشرك
 بعينه، وليس هو الوسيلة التي شرعها الله ﷻ، لأن الله لم يجعل
 الشرك وسيلة إليه أبداً، وإنما الشرك مُبْعَدٌ عن الله ﷻ: ﴿إِنَّكُمْ مَنْ
 يَشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ هَرَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ
 أَنْصَارٍ﴾ (المائدة: ٧٢) فكيف يُجعل الشرك وسيلة إلى الله - تعالى الله
 عما يقولون -.

الشاهد من الآية: أَنَّ فيها دليلاً على أَنَّ هناك من المشركين مَنْ
 يعبد الصالحين، لأنَّ الله يَبَيِّنُ ذلك، وَيَبَيِّنُ أَنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ تَعْبُدُونَهُمْ
 هم عبادة فقراء: ﴿يَتَقُولُونَ إِنَّ رَبَّهُمُ الْوَيْلَةُ﴾ بمعنى: يتقربون إليه
 بالطاعة ﴿أَلَيْسَ الْأَرْثُ﴾ ينسابون إلى الله - جلَّ وعلا - بالعبادة لفقيرهم
 إلى الله وحاجتهم ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ وَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ فَإِنَّ
 لَا يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ إِلَهاً يُدْعَى وَيُعْبَدُ مع الله - عز وجل -.

١٤ - ودليل الأحجار والأشجار قوله - تعالى -: ﴿لَقَدْ بَنَى

آلَ لُثِّ وَآلَ عَزْرٍ ۖ وَتَوَدَّ أَثَاثُهُ الْآخَرِينَ ۖ﴾ (النجم: ١٩، ٢٠).

١٤ - ودليل الأحجار والأشجار... إلخ، في هذه الآية دليل

أن هناك من يعبد الأحجار والأشجار من المشركين.

فقوله: ﴿لَقَدْ بَنَى﴾ هذا استفهام إنكار، أي: أخبروني، من باب

استفهام الإنكار والتوبيخ.

﴿آلَ لُثِّ﴾ - بتخفيف اللام -: اسم صنم في الطائف، وهو عبارة

عن صخرة مقنوشة، عليها بيت مبني، وعليه ستائر، يضاهي الكعبة،

وحوله ساحة، وعنده سدنة، كانوا يعبدونها من دون الله - عز وجل -،

وهي لتقف وما والاهم من القبائل، يفاخرون بها.

ولمري: ﴿لَقَدْ بَنَى آلَ لُثِّ﴾ - بتشديد اللام -: اسم فاعل من ﴿لُثِّ

يَلُثِّ﴾، وهو: رجل صالح كان يَلُثُّ الشويق ويطعمه للخباج، فلما

مات بنوا على قبره بيتاً، وأزخوا عليه الستائر، فصاروا يعبدونه من

دون الله عز وجل، هذا هو اللات.

﴿وَالْعَزْرُ﴾: شجرات من السلم في وادي نخلة بين مكة

والطائف، حوّلها بناء وستائر، وعندها سدنة، فيها شياطين يكلمون

الناس، ويظن الجهال أن هذا الذي يكلمهم هو نفس هذه الشجرات

أو هذا البيت الذي بنوه مع أن الذي تكلمهم هي الشياطين لتضللهم

عن سبيل الله، وكان هذا الصنم لفريش وأهل مكة ومن حولهم.

﴿وَتَوَدَّ﴾: لي مكان يقع قريباً من جبل قديد، بين مكة

والمدينة، وكانت لحراة والأوس والخزرج، وكانوا يحرمون من

عندها بالحج، ويعبدونها من دون الله فهذه الأصنام الثلاث هي أكبر

أصنام العرب.

قال الله تعالى :- ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ هل أغنتكم شيئاً؟ هل نفعتمكم؟ هل نصرتمكم؟ هل كانت تخلق وترزق وتحيي وتميت؟ ماذا وجدتم فيها؟ هذا من باب الإنكار وتبيين العقول إلى أن ترجع إلى رشدكم، فهذه إنما هي صحرات وشجرات ليس فيها نفع ولا ضرر، مخلوقة.

ولما جاء الله بالإسلام وفتح رسول الله ﷺ مكة المشرفة أرسل المغيرة بن شعبه وأبا سفيان بن حرب إلى (اللات) في الطائف فهدمها بأمر رسول الله ﷺ، وأرسل خالد بن الوليد إلى العزى فهدمها وقطع الأشجار وقتل الجنية التي كانت فيها تخاطب الناس وتضلهم ومحاها عن آخرها - والحمد لله - وأرسل علي بن أبي طالب إلى (مناة) فهدمها ومحاها^(١)، وما أنقذت نفسها، فكيف تُنقذ أهلها وعيادها ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ وَتَوَّأ أَتِيفَةُ الْأَنْفَرِ ﴿٥٠﴾ أين ذهبت؟ هل نفعتمكم؟ هل منعت نفسها من جنود الله وجيوش المؤمنين؟

فهذا فيه دليل على أن هناك من يعبد الأشجار والأحجار، بل إن هذه الأصنام الثلاثة كانت هي أكبر أصنامهم ومع هذا محاها الله من الوجود، وما دفعت عن نفسها ولا نفعت أهلها فقد غزاها رسول الله ﷺ وقتلهم ولم تمنعهم أصنامهم، فهذا فيه ما استدلل له الشيخ رحمه الله أن هناك من يعبد الأحجار والأشجار.

يا سبحان الله! بشر عقلاء يعبدون الأشجار والأحجار الجامدة =

(١) انظر: فزاد المعاد (١/ ٤١٣ - ٤١٤).

١٥ - وحديث أبي واقد الليثي رضي الله عنه قال: «مخرجنا مع النبي ﷺ إلى خنين ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركون سدره يعكفون عندها ويتوطون بها أسلحتهم يقال لها: ذات أنواط، فمررنا بسدره فقلنا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط...» الحديث^(١).

= التي ليس فيها عقول وليس فيها حركة ولا حياة، أين عقول البشر؟ تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

١٥ - عن أبي واقد الليثي رضي الله عنه، وكان ممن أسلم عام الفتح على المشهور سنة ثمانٍ من الهجرة. وقوله: يقال لها: ذات أنواط، والأنواط جمع نوط وهو: التعليق، أي: ذات تعاليق، يعكفون بها أسلحتهم للتبرك بها، فقال بعض الصحابة الذين أسلموا قريباً ولم يعرفوا التوحيد تماماً.

«اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط»، وهذه بليّة التخليد والنشبة، وهي من أعظم البلايا، فعند ذلك تعجب النبي ﷺ وقال: «الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر»، وكان ﷺ إذا أعجبه شيء أو استنكر شيئاً فإنه يكبر أو يقول: «سبحان الله» ويكرر ذلك.

«إنها الشن» أي: الطُرق التي يسلكها الناس ويفتدي بعضهم =

(١) أخرجه الترمذي (رقم: ٢١٨٠) في الفتن، باب ما جاء لتكوين سنن من كان قبلكم، وقال: «حديث حسن صحيح»، وأخرجه أحمد (٢١٨/٥)، وابن أبي حاتم في «السنن» (رقم ٧٦)، وابن حبان في «صحيحه» (رقم ٧٧٠٢ - الإحسان).

وصفحه ابن حجر في «الإصابة»: (٢١٦/٤).

- بعض، فالسبب الذي حملكم على هذا هو اتباع سنن الأولين والنسب
بالمشركين.

«قلتم - والذي نفسي بيده - كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا كَانَ آلِهَةُ آلِ الْفَارِثِينَ﴾ ١٣٨. موسى - عليه السلام - لما تجاوز البحر بيني إسرائيل وأغرق الله عدوهم فيه وهم ينظرون، مرّوا على أناس يعكفون على أصنام لهم من المشركين، فقال هؤلاء لموسى - عليه السلام -: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا كَانَ آلِهَةُ آلِ الْفَارِثِينَ﴾ أنكر عليهم وقال: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبِعُونَ مَا يَدْعُونَ بِهِ﴾ يعني: باطل: ﴿وَكُلٌّ فِي أَفْئَادِهِمْ بِشْرُونَ﴾ لأنه شرك، ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا بَدَعَ آبَاؤُكُمْ الْأَوَّلُونَ﴾ (الأنعام: ١٤٠)، أنكر عليهم - عليه الصلاة والسلام - كما أنّ نبينا محمداً ﷺ أنكر على هؤلاء، ولكن هؤلاء وهؤلاء لم يشركوا، فبنوا إسرائيل لما قالوا هذه المقالة لم يشركوا لأنهم لم يفعلوا، وكذلك هؤلاء الصحابة لو اتخذوا ذات أنواط لأشركوا ونكروا الله حماتهم، لما نهاهم نبيهم انتهوا، وقالوا هذه المقالة عن جهل، ما قالوها عن تعبد، فلما علموا أنها شرك انتهوا ولم يتعدوا، ولو تعدوا لأشركوا بالله عز وجل.

فالشاهد من الآية: أنّ هناك من يعبد الأشجار، لأن هؤلاء المشركين اتخذوا ذات أنواط، وحاول هؤلاء الصحابة الذين لم يتمكن العلم في قلوبهم حاولوا أن يشبهوا بهم لولا أنّ الله حماهم برسوله ﷺ.

الشاهد: أنّ هناك من يشرك بالأشجار ويعكف عندها، والعكوف معناه: البقاء عندها مدة تقريباً إليها. فالعكوف هو: البقاء في المكان.

١٦ - القاعدة الرابعة: أنَّ مشركي زماننا أغلظ شركاً من الأولين، لأنَّ الأولين يشركون في الرخاء ويخلصون في الشدة، ومشركوا زماننا شركهم دائم؛ في الرخاء والشدة.

فدَلَّ هذا على مسائل عظيمة:

المسألة الأولى: خطر الجهل بالتوحيد، فإنَّ مَنْ كان يجهل التوحيد خريٌّ أنَّ يقع في الشرك وهو لا يدري، ومن هنا يجب تعلُّم التوحيد، وتعلُّم ما يضافه من الشرك حتى يكون الإنسان على بصيرة لتلا بُؤس من جهله، لا سيما إذا رأى من يفعل ذلك فحسبه حقاً بسبب جهله، فقيه: خطر الجهل، لا سيما في أمور العقيدة.

ثانياً: في الحديث خطر التشبه بالمشرِكين، وأنه قد يؤدِّي إلى الشرك، قال ﷺ: «مَنْ تشبه بقوم فهو منهم»^(١)، فلا يجوز التشبه بالمشرِكين.

المسألة الثالثة: أنَّ التَّشْرِكَ بالأحجار والأشجار والأبنة شرك وإنَّ سُقِيَ بغير اسمه، لأنَّه طلب البركة من غير الله من الأحجار والأشجار والقبور والأضرحة، وهذا شرك وإنَّ سقوه بغير اسم الشرك.

١٦ - القاعدة الرابعة - وهي الأخيرة -: أنَّ مشركي زماننا أعظم شركاً من الأولين الذي بُعث إليهم رسول الله ﷺ.

والسبب في ذلك واضح: أنَّ الله - جل وعلا - أخبر أن ..

(١) أخرجه أبو داود (رقم: ١٠٣١) في اللباس، باب في لبس الشهرة، وأحمد

(٥٠/٢) من حديث عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

«هذا إسناد جيد». «اتقاء الصراط المستقيم» (٢٣٦/١ - ٢٣٩).

وقال الحافظ العراقي في «تفريج الإحياء»: (٦٥/٢): «مسند صحيح».

وقال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري»: (٩٨/٦): «مسند حسن».

المشركين الأولين يخلصون له إذا اشتد بهم الأمر، فلا يدعون غير الله عز وجل لنيلهم أنه لا يخلص من الشدائد إلا الله كما قال - تعالى - : ﴿وَلَا تَسْكُنُ الْفُتُورَ فِي الْبَحْرِ سُلُوفٌ مِّنْ ذُرِّيَّتِهِ قَالُوا هَٰذَا بُشْكُؤُنَا إِلَى الْفُتُورِ أَفَرَضْتُمْ إِنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ كُفُورًا ۝٦٧﴾ (الاسراء: ٦٧)، وفي الآية الأخرى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فُتِحَ كَافُّوهُمُ دَعَاؤُاَ اللَّهِ مُخْلِصِينَ لَهُ الْبَلَاءَ﴾ [النجم: ٣٢] يعني: مخلصين له الدعاء، ﴿فَلَمَّا بَلَغْتُمُ إِلَى الْبَحْرِ فَبَهِتْتُمْ مُتَقْنِفَةً﴾ [النجم: ٣٢]، وفي الآية الأخرى: ﴿فَلَمَّا بَلَغْتُمُ إِلَى الْبَحْرِ لَقِيتُمْ بَشِيرًا﴾ [النجم: ٣٢]، فالأولون يُشركون في الرخاء، يدعون الأصنام والأحجار والأشجار، أما إذا وقعوا في شدة وأشرفوا على الهلاك فإنهم لا يدعون صنماً ولا شجراً ولا حجراً ولا أي مخلوق، وإنما يدعون الله وحده - سبحانه وتعالى - ، فإذا كان لا يخلص من الشدائد إلا الله - جل وعلا - فكيف يُدعى غيره في الرخاء.

أما مشركوا هذا الزمان يعني: المتأخرين الذين حدث فيهم الشرك من هذه الأمة المحمدية فإن شركهم دائم في الرخاء والشدّة، لا يخلصون له ولا في حالة الشدة، بل كلما اشتد بهم الأمر اشتد شركهم ونداءهم للحسن والحسين وعبد القادر والرفاعي وغير ذلك، هذا شيء معروف، ويُذكر عنهم المعجائب في البحار، أنهم إذا اشتد بهم الأمر صاروا يهتفون بأسماء الأولياء والصالحين ويستغيثون بهم من دون الله عز وجل، لأن دعاء الباطل والضلال يقولون لهم: نحن نخلصكم من البحار، فإذا أصابكم شيء اعتفوا بأسمائنا ونحن نخلصكم. كما يُروى هذا عن مشايخ الطرق الصوفية، والقرءوا - وإن شئتم - «طبقات الشرائع» فيها ما تقشعر منه الجلود مما يسميه كرامات الأولياء، وأنهم

١٧ - والدليل قوله تعالى: ﴿فَمَا زَبَحُوا فِي الثَّغَى دَعَاَ اللَّهُ تَحَابِينَ لَهُ الْيَوْمَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِنْ هُمْ إِلَّا شُرَكَاءُ﴾ والله أعلم.
وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

« يُنْقَلُونَ مِنَ الْبَحَارِ، وأنه يمد يده إلى البحر ويحمل المركب كله ويخرجه إلى البر ولا تَنُتَدُّ أكماله، إلى غير ذلك من تُرغائهم وُغُرغائهم، فشركتهم قائم في الرخاء والشفة، فهم أغلظ من المشركين الأولين.

وأيضاً - كما قال الشيخ في «كشف الشبهات»^(١): من وجه آخر :- (أَنَّ الأولين يعبدون أناساً صالحين من الملائكة والأنبياء والأولياء، أما هؤلاء فيعبدون أناساً من أفجر الناس، وهم يعترفون بذلك، قالذين يستوثقهم الأقطاب والأغوات لا يصلون، ولا يصومون ولا يتزهدون عن الزنا واللواط والفاحشة، لأنهم يزعمهم ليس عليهم تكاليف، فليس عليهم حرام ولا حلال، إنما هذا للعوام فقط. وهم يعترفون أَنَّ سادتهم لا يصلون ولا يصومون، وأنهم لا يتورعون عن فاحشة، مع هذا يعبدونهم، بل يعبدون أناساً من أفجر الناس: كالحلاج، وابن عربي، والرقاعي، والبدوي، وغيرهم).

١٧ - ساق الشيخ الدليل على أَنَّ المشركين المتأخرين أعظم وأغلظ شركاً من الأولين، لأنَّ الأولين يُخلصون في الشفة وشركون في الرخاء، فاستدل بقوله تعالى: ﴿فَمَا زَبَحُوا فِي الثَّغَى دَعَاَ اللَّهُ تَحَابِينَ لَهُ الْيَوْمَ﴾ (المكثرون: ٦٥).

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وآله وصحبه أجمعين.

(١) انظر: «كشف الشبهات»: (ص ١٦٩ - ١٧٠) ضمن مؤلفات الإمام المجدد/ قسم العقيدة.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
• مقدمة الشارح	٥
• مقدمة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب	٧
- الحنبلة ملة إبراهيم	١٢
- العبادة لا تسى عبادة إلا مع التوحيد	١٤
- الشرك : أهم ما يجب على العبد معرفته	١٧
القاعدة الأولى	١٨
القاعدة الثانية	١٩
القاعدة الثالثة	٢٤
القاعدة الرابعة	٢٣
• الفهرس	٣٦

